

الملكات في الاسلام

(تابع ما قبله)

ملكات اتشين الاربع (١)

- (٨) السلطانة صفية الدين تاج العالم من ١٠٥٧-١٠٨٦ = من ١٦٤٧-١٦٧٥ م
 (٩) السلطانة تقية الدين نور العالم من ١٠٨٦-١٠٨٩ = من ١٦٧٥-١٦٧٨ م
 (١٠) السلطانة عنایت شاه من ١٠٨٩-١٠٩٩ = من ١٦٧٨-١٦٨٨ م
 (١١) السلطانة كيمالت شاه من ١٠٩٩-١١١١ = من ١٦٨٨-١٦٩٩ م

لا يمكن المرء ادراك سرعة انتشار الاسلام الا اذا ادرك تماماً الى اي حد بلغ ذلك الانتشار السريع العجيب . فن الاندلس غرباً الى الصين شرقاً ومن مجاهل افريقيا جنوباً الى اواسط روسيا وسيبيريا شمالاً انتشر الاسلام بسرعة فائقة وظهرت الدول الاسلامية في كل هذه الجهات

ففي جزائر الهند الشرقية جزيرة كبيرة تدعى جزيرة سوماترا تابعة الان لهولندا مع ان ساحتها تقرب من مساحة فرنسا وثلاثة عشر ضعف مساحة هولندا التابعة لها. في شمال هذه الجزيرة ظهرت عدة دول اسلامية كما ظهرت عدة دول اسلامية ايضاً في جزيرة بورنيو وفي شبه جزيرة ملقا لا يزال بعضها موجوداً الى الآن . واهم الممالك التي ظهرت في جزيرة سوماترا المشار اليها بمملكة اتشين واول من استقل بها علي منفيث شاه الذي ملك من سنة ١٥١٤-١٥٢٨ م. واتسعت المملكة في عهد خلفه اسكندر مودا فلما مات خلفه قريبة اسكندر الثاني وهذا بتوفي ١٦٤١ م . وعند موته اجمع الاتشينيون على تولية ارمليتو السلطانة صفية الدين ولقبوها تاج العالم وهي ابنة السلطان اسكندر مودا اشد سلاطين هذه الدول . ولم تكدمجلس على سرير الملك حتى اظهرت من الفطنة والذكاء وحسن السياسة ما جعل الاتشيين يضربون بها المثل واتسعت في ايامها بمملكة اتشين حتى بلغت اكثر من نصف جزيرة سوماترا كلها وملكت من سنة

(١) Encyclopedia of Islam 1: 608; Encyclopedia Britannica (Acheen) and Universal Geography by Eliseé Reclus 14: 109.

١٦٤١ - ١٦٧٥ أو نحو أربع وثلاثين سنة. وبعد موتها قررا الاثينيون ان يولوا امرأة اخرى الملك نيمكا بما رأوه من الخير في ايام السلطنة صفية الدين فاجلسوا على سرير الملك السلطنة تقية الدين ولقبوها بنور العالم ولم تقل هذه الملكة عن سابقتها في حسن النسياسة والادارة وتوفيت سنة ١٦٧٨ فولوا بمدها السلطنة عنایت شاه وملكته من سنة ١٦٧٨ - ١٦٨٨ م. ثم تولت الملك بمدها السلطنة كالت شاه من سنة ١٦٨٨ - ١٦٩٩ م. فما تقدم يتضح ان اربع ملكات ملكن بالتتابع مملكة اثين هذه . وكانت ايامهن العصر الذهبي لهذه المملكة ومن بعدهن ابتدأت المملكة تقف تارة وتنحط اخرى حتى التهمت هولندا لقمة غير سائلة بمد حروب شديدة

وكان لا يزال في اثين كثيرون من العرب وبعضهم من السادات فشاءم ان تتولى امرأة بعد امرأة الملك في اثين فائتروا الرعية على هذه البدعة واعلنوا الأحاديث النبوية الناهية عن ذلك واخيراً اتوا بفتوى من مكة بهذا الخصوص تمكنوا بها من خلع السلطنة كالت شاه سنة ١٦٩٩ م وولوا الملك احدم الشريف جمال الدين . وهكذا انتهى ملك هذه الملكات المعجيب

اميرات هوبال الاربع

(١٢) الاولى قدسية بيكم (1)

من ١٢٣٦ - ١٢٥٢ هـ - من سنة ١٨١٩ - ١٨٣٧ م

تنقسم بلاد الهند في الوقت الحاضر الى قسمين. قسم يحكمه الانكليز مباشرة ومساحة ٦١ في المئة من المجموع وسكانه ٧٨ في المئة. والقسم الآخر يحكمه امراء وطنيون لهم استقلال نوعي كثراو قل حسب الامتيازات المعقودة بينهم وبين الانكليز وهذا القسم يعرف بالامارات الوطنية "The Native States of India" وهذه الامارات كثيرة العدد تبلغ ٦٩٣ اماره بعضها كبير مثل دولة «النظام» في حيدر اباد فان عدد سكانها يقرب من عدد سكان القطر المصري . والبعض صغير جدا لا يزيد عن قرية واحدة . وبين هذه الامارات الوطنية بضع عشرة اماره

(1) Imperial Gazetteer of India 2 : 405 ; Encyclopedia of Islam 1 : 711.

يحكمها عائلات اسلامية مثل امارات بالانسور ورامبور ودولة النظام حيدرآباد. وهوربال وادكوت وكوراي. ومورتكوتلا. ورادهنيور. وجانجيرا. وجوتافار. وخيربور وقدنك وغيرها. ومن بين هذه الامارات امارة هوبال التي نحن بصددنا. هذه الامارة واقعة في مقاطعة مالوة وتابعة لوكالة الهند الوسطى وهي تقع بين $22^{\circ} 32'$ و $23^{\circ} 46'$ من العرض الشمالي وبين $76^{\circ} 25'$ و $78^{\circ} 50'$ من الطول الشرقي. وتبلغ مساحتها ٦٩٠ ميلاً مربعاً او نحو نصف المساحة المزروعة بالقطر المصري وعدد سكانها ٧٣٠٣٨٣ حسب آخر تعداد وهو احصاء سنة ١٩١١ (١)

كانت هذه الامارة مثل كثير غيرها تابعة لدولة المغول العظمى في دهلي يحكمها امراء يوليهم سلاطين المغول في دهلي الى ان توفي السلطان اورنگ زيب سنة ١١١٨ هـ = ١٧٠٧ م فسادت الفوضى بعد موت ابيه فانهز دوست محمد خان حاكم هوبال هذه الفرصة واعلن استقلاله سنة ١١٣٥ هـ = ١٧٢٣ م. ولم تقهر هذه الامارة الا في ايام اميرها نذر محمد خان فانه لما رأى سرعة انتشار الحكم الانكليزي في الهند فضل ان يعقد مع الانكليز اتفاقاً يصون به استقلاله فعقد هذا الاتفاق سنة ١١٨٨ م. ولم يطل صمره بعد ذلك لانه قتل سنة ١١٨٩ م وصمره ثمان وعشرون سنة. ولم يخلف ولداً ذكراً بل ابنة اسمها سكندر بيكم. وكانت ارملة قدسية بيكم حينذاك لا يزيد صمرها عن ثلث عشرة سنة فتقرر تعيينها وصية على ابنتها حتى تبلغ سن الرشد. فقامت الاميرة قدسية بيكم بادارة الحكومة اتم قيام. واظهرت من حسن السياسة ما جعل اسمها مشهوراً. وبشدة ما كانت هذه الاميرة لطيفة ورحيمة نحو جنودها وصهاها كانت شديدة الوطأة فاسية جداً على من يخالف احكام الشريعة

وقد اظهرت فطنة عظيمة في اختيار موغلي ديوانها. وفي سنة ١١٣٥ م تزوجت ابنتها سكندر بيكم بان عم لها يدعى الامير جهان كير محمد خان. وطُلب من الاميرة قدسية بيكم ان تتنازل لهذا الاخير عن الامارة فلم تقبل. وعقب ذلك قتل طالت حتى تدخل الانكليز في الامر فتقرر تعيين الامير جهان كير محمد خان زوج سكندر بيكم اميراً على هوبال وذلك سنة ١١٣٧ م

(1) Whitaker's Almanack 1920: 536.

(١٣) (الثانية) سكندر بيك (١)

من ١٢٦٠ - ١٢٨٥ هـ = من ١٨٤٤ - ١٨٦٨

ولم تطل أيام الامير جهان كير محمد خان فانه توفي سنة ١٨٤٤ م فنودي بارمة سكندر بيك حاكمة على جهول. وكانت هذه الاميرة مثل والدتها على جانب عظيم من الفطنة وحسن السياسة. ولا يمكن في هذه العجالة القصيرة ان اشرح بالتفصيل ماتم على يد هذه الاميرة من الاصلاح بل يكفي ان اقول انها تمكنت في مدة ست سنوات من ايفاء كل الديون التي على الامارة والغاء كثير من الضرائب التي كانت تنقل طاق الاهالي

وقد قال عنها الكولونل ملسون (Malleson) « انها اظهرت نشاطاً وحملة ذهن وحسن ادارة لا تقل عما يظهره احسن رجل سياسي مقتدر »

ولما حدثت الثورة الكبرى في الهند سنة ١٨٥٧ م رأت يبعد نظرها ان لا تشترك فيها مع ان رايها ما حاجوا عليها وطلبوا منها اعلان الجهاد على الانكليز. ولكنها استعملت الحزم الشديد حتى تمكنت من اخاد الثورة الفكرية. ووذ على هذا كله انها عملت كل ما في وسعها لمساعدتهم وواصلت عدداً كبيراً منهم كانوا في خطر عظيم الى اقرب معسكر انكليزي وهم سالمون حفظ لها الانكليز هذا الجليل. ذلك انهم بعد ما اخذوا هذه الثورة شكريها الحاكم العام في الهند جهاراً في الدربار الذي عقد في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٦٠ م. ومنحتها الحكومة الانكليزية عدة اوسمة. وبقيت لامارة جهول كل الامتيازات التي كانت لها في حين ان كثيراً من الامارات اضاع استقلالها نهائياً باشتراكها في تلك الثورة. ولم تكن تحتجب عن شعبها مطلقاً بل كانت تدبر حركة الحكومة بنفسها شخصياً بكل حمة. واطهرت اقتداراً مجيباً في ادارة شؤون الامارة مدة ولايتها

وكانت شديدة الحرص جداً على حسن سمعة بيتها سمعت مرة ان ابنتها الوحيدة التي تولت الامارة بعدها وهي شاه جهان بيك قد قابلت في بيت قريب لها احد امراء البيت المالك في دهلي وكان يطلب الاقتران بها. فإكان منها الا انها امرت

(1) Encyclopedia of Islam 1: 711; Griffith's India's Princes: 129; and Buckland's Dictionary of Indian Biography: 40.

يسجنها في غرفتها الخصوصية عدة اشهر بعد ان ضربتها بيدها ضرباً مبرحاً . اما ذلك الشاب المسكين فمرت بوضعه في قفص وتعليق القفص على باب المتعة وبقي على تلك الحالة عدة اشهر ولم تشأ ان تطلق مراحه حتى توسط الانكليز في ذلك وفي سنة ١٨٦٣ م ذهبت الاميرة سكندر بيكم للحج في مكة مع كثيرين من اعضاء حاشتها وترك ابنا شاه جهان بيكم قائمة عنها في ادارة شؤون الامارة مدة غيابها وعند عودتها الفث كتاباً وصفت فيه ما رأت في رحلتها هذه وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٦٨ م توفيت بعد مرض طال زمنه مأسوفاً عليها من جميع رعاياها

(١٤) (الثالثة) شاه جهان بيكم (١)

من سنة ١٢٨٥ - ١٣١٩ هـ - من ١٨٦٨ - ١٩٠١ م

بعد وفاة الاميرة سكندر بيكم نودي بالاميرة شاه جهان بيكم حاكمة على اماره بهوبال . ولم تكن اقل من والدتها في حسن السياسة حتى كان هذه الصفات اصبحت موروثه في اميرات هذا البيت

فانها حالمجلت على عرش بهوبال وجدت امامها عدة صعوبات نتجت من طول مرض والدتها وفي غيابها بالحج في مكة فكان عدد القضايا المتأخرة ٤٠٨٦ قضية حتى يش المتقاضون من انجازها وكان الفقراء يشكون غلاء الخنطة . ومع ذلك فانها شمرت عن ساعد الجد وانجزت جميع القضايا المتأخرة . وخضفت غلاء الخنطة بالغاء ضريبة الدخل على واردات الخنطة ورفعت ماهيات الجنود الى غير ذلك

في سنة ١٨٦٩ م ساحت في بلادها لتتهد حالة الفلاحين بنفسها وتتحقق الشكاوي الكثيرة التي قدمت اليها على مرظني الحكومة . ونشرت اعلانات بانها مستعدة لسماح كل شكوى تقدم اليها . فمن كان لديه شيء من ذلك فليقدمه بلا خوف . واظهرت من المهارة والجد وبعد النظر ما فاقت به اعظم الرجال حتى اصبحت اماره بهوبال بفضلها وفضل والدتها افضل اماره بين امارات الهند الوطنية . وكانت قصيرة القامة جداً لا يزيد طولها على طول ولد حادي عمره عشر

(١) Griffith's India's Princes: 139; Keane's Oriental Biographical Dictionary: 384; and Buckland's Dictionary of Indian Biography: 39.

سنوات . ولكنها كانت جميلة الصورة . وصفها كاتب فرنسوي رأها قال :
 « ضرب لي موعد للتشرف بمقابلة صاحبة العظمة شاه جهان بيكم قبل مغادرتي
 بهوبال فلما دخلت قاعة الاستقبال وجدت ابنة صغيرة ظننتها لأول وهلة
 احدى بنات اشرف البلاط وكنت على وشك ان اغاطبها على هذا الاعتقاد فا
 كان اعظم دهشتي لما رأيتها وقتت وقالت « انا شاه جهان » ومدت الي ساعدها
 المرصع بالجواهر لمصافحتي . وبعد ما زال عني ما اعتراني من الاستغراب والدهشة
 لاحظت انها وان كانت قصيرة جداً لكن وجهها جميل وملاحمها فتانة ونظرات عينها
 حادة . وقد اعتادت ان تباشر اعمال الحكومة بنفسها يومياً من الساعة ٩ - ١٢
 صباحاً ومن الساعة ٣ - ٦ مساءً . وكانت تفض جميع المراسلات بنفسها
 ولما توفي زوجها الاول سنة ١٨٦٢ م كانت تستقبل الناس سافرة ولكنها
 لما تزوجت بعده وزيرها المير محمد صادق ١٨٢١ م طادت الى استعمال الحجاب
 قال عنها السير ليل غر芬 (Lapel Griffin) « ومع انها تدير امور الحكومة
 من وراء حجاب لكنها تعلم كل صغيرة وكبيرة من اخبار البلاد . وهي بلا استثناء
 اقدر امرأة في الهند اليوم بالحقيقة ان مقدرتها الطبيعية تفوق مقدرة كثيرين
 من الامراء الرجال الذين يحكمون اليوم . وهي سريعة الخاطر جداً حتى ان من
 يخاطبها يجب ان يكون على جانب عظيم من الذكاء ليستطيع مجاراتها في الحديث »
 ولم تلد شاه جهان بيكم سوى ابنة واحدة هي اميرة بهوبال اليوم . وتوفيت
 في ١٦ يونية سنة ١٩٠١ م

(١٥) (الرابعة) سلطان جهان بيكم^(١) اميرة بهوبال الحالية

من سنة ١٣١٩ هـ = سنة ١٩٠١ م

ولدت هذه الاميرة في ٩ يولييه ١٨٥٨ وتزوجت في حياة والدتها سنة ١٨٧٤ م
 بالامير احمد علي خان . في سنة ١٨٧٦ م ولدت اكبر انجالها الامير محمد نصر الله
 خان . ولما توفيت والدتها في ١٦ يونيه سنة ١٩٠١ م جلست على عرش بهوبال
 واظهرت من حسن الادارة ما هو مشهور عن هذا البيت

(1) Who's Who 1913: 167.

وفي بدء الحرب العظمى (١) لما دخلت تركيا الحرب في جانب ألمانيا وهاج العالم الاسلامي اعلنت دعمتها في دربار امام جميع رعاياها انها ستبقى موالية للحكومة الانكليزية . وانها ستحافظ على العلاقات الحسنة بين هوبال وانكلترا . وقد قرنت القول بالفعل فارسلت فصيلة من جنودها بقيادة نجملها لمساعدة الانكليز وتبرعت بسفينة مستشفى ايضاً (٢)

والذين يعرفونها يقولون عنها انها من اقدار امراء الهند الحاليين واقدر من كثيرين من الامراء الرجال الذين يحكمون في تلك البلاد الفاسدة

(١٦) قاطعة سلطان اميرة قاسموف (٣)

من سنة ١٠٩٠ - ١٠٩٢ هـ - ١٦٧٩ - ١٦٨١ م

كان في الجزء المعروف اليوم بروسيا اوربا عدة ممالك اسلامية اهمها مملكة القفجاق الغربية المعروفة في التواريخ الاخرنجية باسم (Golden Horde) . هذه المملكة اسمها باتو حفيد جنكيز خان المغولي الشهير . فانه لما اطار جنكيز بتارده على البلدان وافتتح الامصار من الصين شرقاً الى بلاد المجر غرباً ومن سيبيريا شمالاً الى بلاد الهند واران والعراق جنوباً واسبان واولاده دول المغول العظيمة وقع جنوب شرقي روسيا في قبضة باتو المتقدم ذكره فاس فيها دولة القفجاق العظمى هذه وذلك سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٢ م) . وكانت عاصمة مملكته مدينة سراي التي يدعونها ابن بطوطة « السرا » (٤) . وهي على نهر التولجا بالقرب من استراخان (وابن بطوطة يدعوها الحاج طرخان)

وقد زار ابن بطوطة هذه البلاد في عهد سلطانها محمد اوزبك وهو السلطان الثامن من سلاطين هذه الدولة تزوج ابنة امبراطور القسطنطينية التي سافر معها ابن بطوطة الى تلك المدينة العظمى كما هو مشروح برحلته . وفي الدول الاسلامية في روسيا اوربا خانات القرم الذين كان لهم سطوة كبيرة وتأثير عظيم في تاريخ الروس ثم لما ضعفت دول القفجاق المتقدم ذكرها وذلك في بدء القرن الخامس عشر

(1) The Times History of the War 2: 331.

(2) The Times History of the War 4: 242.

(3) Howarth's History of the Mongols 2: 429 and 438.

(4) ابن بطوطة ج ١ : ٢١٢

للبلاد وسادتها القوضى اتسمت الى دولتين احدهما استراخان واول من استقل بها قاسم خان بن محمود خان وذلك سنة ١٤٦٦ م . والثانية مملكة قازان (وكانت تعرف أيضاً باسم مملكة البلغار العظمى) واول من استقل بها اولدغ محمد بن حسن سنة ١٤٣٧ م . ولما قتل اولدغ محمد المذكور سنة ١٤٤٥ م تولى بعده احد ابناؤه وقره اثنتان منهم الى موسكو خوفاً على قصصها وهما قاسم ويعقوب . ذلك سنة ١٤٤٦ م . في موسكو حالفا الامير الروسي باسيلي الرابع (١٤٢٥ - ١٤٦٢ م) وخدماً في صفوفه

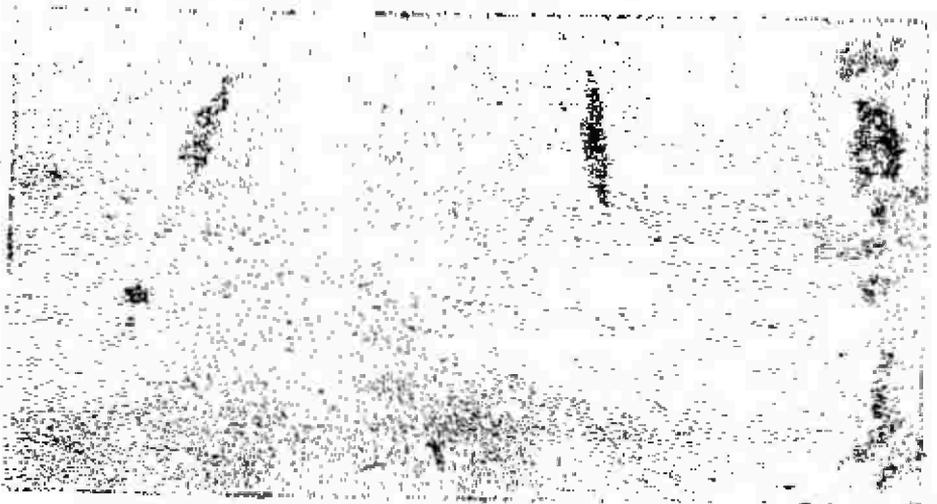
وفي سنة ١٤٤٩ م غزا سيد احمد خان القنجاقي بلاد الروس حتى وصل الى بوخرا Pokhra واسمراريا زوجة الامير باسيلي لجمع قاسم بن اولدغ محمد من سعة من التتار وتعب الغزاة حتى استرد الاسرى واسترجع الغنائم مما جعل له منزلة خاصة عند الامير باسيلي

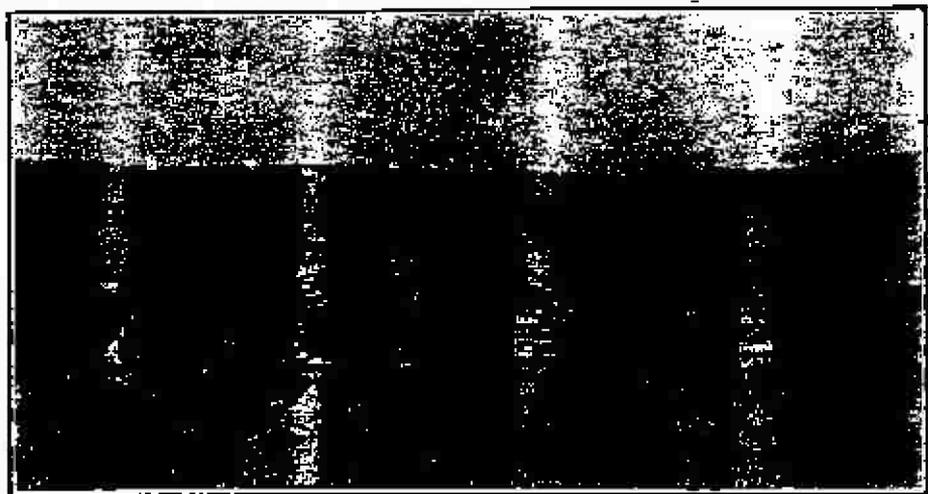
وهكذا استمر الاخوان يخدمان الروس في حروبهم المتعددة مع التتار . ثم لم نسمع شيئاً عن يعقوب فاما ان يكون قدمات او ترك البلاد . ولكننا نعلم انه بعد سنة ١٤٥٢ م كان الامير الروسي قاسماً ببلدة غورودتس (Gorodetz) على نهر الاوكا من مقاطعة ريازان Riazan مع ارض صغيرة حولها . وهذا اطلق عليها اسمها فصارت تعرف من ذلك الحين باسم قاسموف . وادس بها الامير قاسم بن اولدغ محمد امارة مستقلة تحت حاية الروس واورثها بنيه وبني نسله حاكماً فيها الى سنة ١٦٨١ م

اما بلدة قاسموف هذه فواعدة الى الجنوب الشرقي من موسكو في مقاطعة ريازان Riazan وهي على درجة ٥٤° ٥٣ من العرض الشمالي و ٤١° ٢٩ من الطول الشرقي . وفي سنة ١٦٧٢ م لما توفي سيد برخان بن السيد ارسلان ثالث عشر امراء قاسموف هذه (وكان قد تنصر) تولت الامارة بعده والدته فاطمة سلطانة وتلقب بقلب قيصره قاسموف فهي الرابعة عشرة من امراء هذه الامارة . وبقيت على كرسي الامارة الى ان توفيت سنة ١٦٨١ م . وهي آخر من ملك في هذه الدول وبعد موتها ضمت روسيا قاسموف اليها نهائياً

رزق الله منقربوس الصلبي

مؤلف تاريخ دول الاسلام





صورة طريق رومانية بين النطاكية وكلس



صورة جسر المجدل الى الشمال الغربي من حاه

مقتطف سبتمبر ١٩٢٠

امام الصفحة ١٩٣